مهدي عامل

مدخل الى نقض ايديولوجية البورجوازية اللبنانية

وعي التاريخ يحمل مأساته ، والتناقض فيه المأساة · كيف يدوم ما يحمله التاريخ ، بضرورته ، الى التغير ؟ كيف تتزن الحركة وهي جرثومة خلل ؟ كيف يتأبد ما هو الى زوال ؟

هذا هو السؤال الذي يحكم منطق الايديولوجية البرجوازية ، وهذا هو السؤال الذي يحكم منطق الفكر عند ميشال شيحا في كل ما يكتبه · للسؤال وجهان : وجه الدهشة ، بسبب الاستحالة ــ لا ديمومة لما هو في تغير ، لا توازن لما هو في خلل ، لا تأبد لما هو في زوال ــ ووجه العمل للتغلب على الاستحالة ، لعلها تنقلب امكانا ، ولو لاجل مسمى · ينطرح السؤال في وجهه الاول ، من موقع منطق التاريخ في ضرورته · انه موقع العقل العلمي ، وموقع من يتفق منطق مصلحته الطبقية مع هذا المنطق المادي للتاريخ · وينطرح السؤال ، في وجهه الاخر ، من موقع رفض التاريخ وحركته ، ورفض التناقض في هذه الحركة · انه موقع من يصطدم منطق مصلحته الطبقية بمنطق التاريخ : انه موقع الطبقة المسيطرة وموقع فكرها السحري · من هذا الموقع ينظر شيحا في الواقع اللبناني · لكنه ينظر فيه ايضا من موقع الوعي بالتاريخ وحركته · في هذا التناقض بين الموقعين يتحرك فكره · لكن الغلبة تعود دوما للموقع الاول ، لانه الموقع الطبقي الطبيعي · ويأخذ الوعي التاريخي عنده شكله الايديولوجي البرجوازي ، ويأخذ الوعي هذا عنده شكلا مأسويا لا يفارقه ، منذ البداية · ويدرك ، من موقعه الطبقي هذا ، ان بالسياسة وحدها ، وبالايديولوجية ،قد يكون ممكنا معاندة الحركة التاريخية ، لاجل محدود ، دون التغلب النهائي عليها · ولا

* الفصل الاول من كتاب « القضية الفلسطينية في ايديولوجية البرجوازية اللبنانية » ، الذي يصدر قريبا عن مركز الابحاث ·